الشفاعة في القرآن

الشيخ/ الشيخ عبد القادر شيبة الحمد

الشفاعة في القرآن

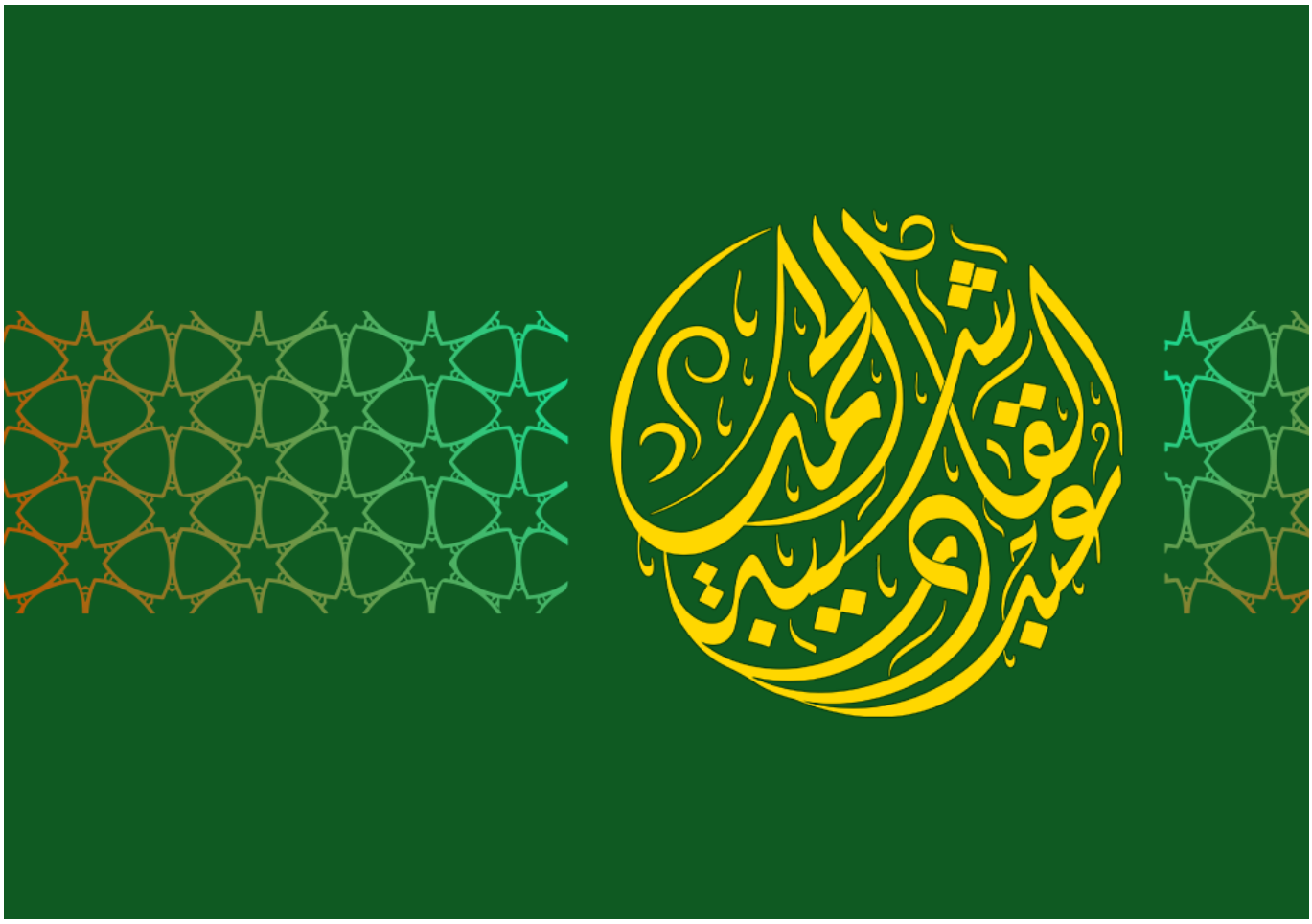

من المقرر في شريعة الإسلام أن الشفاعة قسمان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة النافعة يوم القيامة هي ما تحقق فيه شرطان:

الأول: إذن الله عز وجل للشافع في الشفاعة، والثاني: رضا الله عز وجل عن المشفوع له، ولا يرضي الله عز وجل عن الشفاعة إلا في المؤمنين.

أصل الشفاعة في اللغة: يدور على معنى الازدواج والزيادة والإعانة)[1](، فالشفع الزوج

وهو ضد الوتر، وتقول: شفع ناظري إذا صار يرى الخط خطين والشخص شخصين، ويقال: شفع لي فلان إلى فلان، أي طلب منه أن يقضي حاجتي، فكأنه ضم صوته إلى صوت المشفوع له؛ فصار بعد أن كان صوته واحدًا صار له صوتان، صوته وصوت الشافع.

ومن المقرر في شريعة الإسلام أن الشفاعة قسمان: شفاعة مثبتة، وشفاعة منفية.

فالشفاعة المثبتة النافعة يوم القيامة هي ما تحقق فيه شرطان:

الأول: إذن الله عز وجل للشافع في الشفاعة، والثاني: رضا الله عز وجل عن المشفوع له، ولا

يرضي الله عز وجل عن الشفاعة إلا في المؤمنين.

وقد أكد الله تبارك وتعالى هذا المعنى في مواضع من كتابه الكريم؛ حيث يقول عز وجل: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [البقرة: 255]، ويقول عز وجل: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى} [الأنبياء: 28]، وكما قال عزوجل: { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى} [النجم: 26]، وكما قال عزوجل: {يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (41) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} [الدخان: 41-42].

وقد ثبتت الشفاعة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهي الشفاعة العظمى، فقد روى البخاري([2]) ومسلم([3]) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه- قال: كنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في دعوة فرفع إليه الذراع؛ فكانت تعجبه فنسه منها نهسةً وقال: (كنّا مع النبيِّ - صلى الله عليه وسلم- في دَعْوة، فرُفِع إليه الذِّراعُ - وكانت تعجبه - فنهس

منها نهسة، وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون: ممَّ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيُبْصِرُهم الناظر، ويسمَعُهم الداعي، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغمِّ والكرب ما لا يُطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم، فيأتونه، فيقولون: يا آدم، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفعُ لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بَلَغنَا؟ فقال: إن ربي غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغْضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيتُ، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبُوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح، أنتَ أولُ الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفعُ لنا عند ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله، ولن يغضَب بعده مثله، وإنَّه قد كان لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبيُّ الله، وخليله من أهلِ الأرض، اشفع لنا إلى ربِّك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إنَّ ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني كنتُ كذبتُ ثلاث كَذَبات ... فذكرها - نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: أنت رسول الله، فضّلك برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، وإني قد قتَلْتُ نفْساً لم أُومَرْ بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنتَ رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمتَ الناس في المهد، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى، إن ربي قد غضبَ اليومَ غضباً لم يغضبْ قبله مثله، ولن يغضبَ بعده مثله، ولم يذكُر ذنباً، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً - صلى الله عليه وسلم- وفي رواية: فيأتوني - فيقولون: يا محمد، أنت رسولُ الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن

فيه؟ فأنطلقُ، فآتي تحت العرش، فأقَعُ ساجداً لربّي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحدٍ قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسَك، سلْ تعطه، واشفع تُشفَّع). الحديث.

وقول إبراهيم: "ثلاث كذبات"، هي معاريض وليست من الكذب المحرم.

كما روى البخاري من حديث جابر -رضي الله عنه-)[4](أن رسول الله □ قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة).

أما الشفاعة المنفية فهي الشفاعة للكفار؛ لقوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [المدثر: 48]، ولقوله في الكفار: {فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ} [الشعراء: 100-101]، وعليه يحمل قوله عزوجل: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ} [البقرة: 254])[5].

---

[1] - ينظر: لسان العرب 8/183.

[2] - رقم (3340).

[3] - رقم (194).

[4] - رقم (4719).

[5] - تهذيب التفسير وتجريد التأويل: 1/122-124